

الاجتماعية والفردية إلى غير ذلك مما كان يستدعى تغيير النبوة والرسالة بين حين وحين من تاريخ البشرية، فكانت كل رسالة من تلك الرسائل تباشر معالجة الحاجات والمصالح المقطعية والمتطورة بنسبة معينة في عصرها إلى جنب ممارستها للخطوط العامة الثابتة (1). وقد تدرجت الرسالة الإلهية نحو التكامل والسعة والشمول إلى أن بلغت ذروتها على يد الرسول الأعظم محمد (صلى الله عليه وآله) وقد استقرت المشيئة الإلهية على ختم الرسالة على يده الكريمة، فكانت الرسالة الإسلامية رسالة أبدية خاتمة بالإضافة إلى كونها أكمل الرسائل السماوية وأتمها وأسمها.

وهي بحكم كونها أكمل الرسائل وأتمها لا بد لها أن تشتمل على جميع ما يقتضيه النظام الاجتماعي الصالح للبشرية بما فيه من عناصر ثابتة وعناصر متطورة، ولكنها بحكم كونها رسالة أبدية خاتمة لا بد لها أن لا تباشر بتشريع العناصر المتغيرة بصورة تفصيلية، لأنها لو صنعت ذلك لأصبح حالها حال الرسائل السماوية السابقة التي كانت تستدعي التغيير والتجديد بين حين وآخر من تاريخ البشرية، وهذا ينافي أبعديتها وخاتمتها.

فلكي تكون الرسالة الإسلامية رسالة كالملة شاملة من ناحية، وتكون صالحة للدوام والاستمرار في كل زمان ومكان إلى يوم القيامة من ناحية أخرى كان من الضروري أن يفرز الإسلام ويفرق بين مساحة العناصر الثابتة التي لا تتغير بتغير الظروف والأحوال وبين العناصر المتطورة التي تتغير بحسب مقتضيات الظروف والأحوال، فيباشر في

---

1 - لا حظ بهذا الصدد محاضرة قيمة لأستاذنا الشهيد الصدر قدس سره تحت عنوان: التغيير والتجديد في النبوة وقد طبعت مع مجموعة أخرى من محاضراته تحت عنوان: اله البيت تنوع أدوار ووحدة هدف دار التعارف بيروت.